

مكانة علم الاجتماع في الجزائر

د. نصر الدين بن عودة

جامعة حسية بن بو علي / الشلف

الملخص : لقد وجهت عدة انتقادات للمشتغلين بعلم الاجتماع، كونهم لم يصلوا إلى القيام بدورهم لرفع قيمته ومكانته، و كون هذا العلم لا يتجاوز الأكاديمية في الطرح ، و وصف كذلك بأنه علم لا يتعدى صده جدران الجامعة، مما دفع بأصحاب القرار إلى تهميشه وتقزيمه حتى تظهر أنها علوم تجريدية لا جدوى منها ، والعمل على إبعاده عن الواقع اليومي وتنمية المجتمع ، بينما العلوم التكنولوجية و التقنية نالت العناية و الاهتمام ووصفها بأنها المخرج من دائرة التخلف وتحقيق التنمية. وهذا ما دفع الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا النفور منه وجعله آخر فرصة لهم من بين الاختيارات الممنوحة لهم ، نظرا لتصوراتهم أن هذا التخصص لا يضمن لهم مستقبلا مهنيا .

Abstract :

The users of the Psychology make face to a high number of criticisms because of their inability to play their role in order to raise its value and its place, this science does not overtake the exposition district, and is definite such as a science that does not overtake the university's walls, however the deciders were in such way obliged to marginalize and reduce it until it seems as an unremarkable useless science, and to act to get it far from the reality and the society's development, while technological and technical sciences obtained interest and attention, and to definite it such as the issue from the under development and the development's concretization, that is what incites the baccalaureate titlars to run away from this science and to classify it as the last one of the choices they have been given on the understanding of their imagination that this specialty does not occur them a vocational future.

01-تمهيد: لقد عاش علم الاجتماع وضعيات متعددة منذ تأسيسه في الجامعة الجزائرية ، فمن تخصص معترف به وبالمعرفة التي يحملها و التي يمكنها أن تساهم في بناء الفكر النقدي لدى الطالب ليصبح إطارا مساهما في عملية التنمية،إلى التخصص الذي أصبح يضم المرفوضين من التخصصات الأخرى وتضييق فرص التوظيف أمام خريجيه ،نتيجة الجهل بماهية هذا التخصص وطبيعة المهام المهنية التي يمكن أن توكل لحاملي شهادة علم الاجتماع ،إضافة إلى أن المشتغلين بهذا العلم من باحثين وأساتذة جامعيين يشعرون بإحباط نظرا للأزمة التي يحياها هذا العلم وما يعانیه من تهميش . إن محاولة تحديد مكانة ووضعية علم الاجتماع في الجزائر و المشتغلين بهذا العلم ووضعية خريجيهالمهنية ، يتطلب التطرق إلى : نشأة هذا العلم ،والظروف التي تطور فيها،ثم مكانة ووضعية علم الاجتماع في الجزائر .

02- المرحلة التأسيسية الأولى لنشأة علم الاجتماع(ابن خلدون) إذا كان الايطاليون يزعمون أن" فيكو" هو مؤسس علم الاجتماع وإذا كان البلجيكيون يدعون أن"كنثيه" هو أول من استخدم تسمية الفيزيائية الاجتماعية ليشيروا بها إلى العلم الجديد ،وإذا كان الفرنسيون يدعون" كونت" هو مؤسس علم الاجتماع بلا منازع فان التاريخ يشهد أن هناك مفكر عربي ظهر قبل هؤلاء جميعا استطاع أن يقيم صرح هذا العلم على أسس منهجية سليمة ،فعرفه وحدد موضوعه ومنهجه وراح يغرس مسائله ويستتبط قوانينه،ذلك هو عبد الرحمان ابن خلدون . أدرك ابن خلدون منذ بدأ مقدمته أنه يقوم بمحاولة غير مسبوق إليها وهي تأسيس علم الاجتماع،أو ما سماه بعلم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وفي هذا يقول " وكأن هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع ،وهو العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته ،واحدة بعد أخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أم عقليا "[1] . ويقررانابن خلدون أول من يدرس ظواهر الاجتماع على هذا النحو الجديد بقوله" وأعلم أن هذا الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة،غريب النزعة ،غزير الفائدة ،أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص"[2] وينتهي من استعراض ما عسى أن يكون له علاقة بعلمه الجديد ،فلا يجد له شبيهها ، فيقول" ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما وأعثرنا على علم جعلنا بين ذكره وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسائله،وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه، فتوفيق من الله وهداية ،وان فانتني شيء في إحصائه واشتبته بغيره مسائله فلنأظر المحقق إصلاحه ولي بعض الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق.[3]ومن القضايا التي اهتم بمعالجتها المراحل التطورية للدول و الحضارات

الإنسانية ، فيما يعرف بنظرية الدورة التاريخية وتحليله لنشأة السلطة وتطورها ، واثّر ذلك على طبيعة نظام الحكم فيما يعرف بنظرية العصبية. كما اهتم بمعالجة الظواهر الاقتصادية بالإضافة إلى كثير من مسائل التربية والتعليم، ومن هنا يتضح أن مقدمة ابن خلدون تشمل جميع النواحي الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع العربي الإسلامي الوسيط وهذا ما جعل العديد من العلماء يعترفون بقيمة كتاباته وتأثيرها على تحليل قضايا سوسيولوجية عامة، لا تزال تشكل اهتمامات العديد من علماء الاجتماع والتاريخ والاقتصاد والسياسية ، وأصبح هناك اعتراف عالمي الآن بدور ابن خلدون في الدعوة إلى إنشاء علم الاجتماع.[4]

3- العوامل التاريخية لنشأة السيسولوجيا الغربية: من خلال الأحداث التاريخية التي عرفتھا المجتمعات الأوروبية بدأ يتشكل مجتمع جديد بداية من القرن 15 وهو عصر النهضة الأوروبية إلى غاية نهاية القرن 19، ويمكن هنا تحديد ثلاث محطات هامة ارتبط ظهور علم الاجتماع بها، عصر الأنوار الذي يعتبر امتداد لعصر النهضة ، والثورة الفرنسية والثورة الصناعية. إن المجتمع في القرون الوسطى كان يخضع للنظام الإقطاعي الذي يتميز بالطبقات الاجتماعية لكن سرعة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية عجلت بمرور طبقة جديدة هي البرجوازية التي لعبت دوراً أساسياً في ظهور المجتمع الجديد ، كما أن الكنيسة لعبت دوراً سلبياً بمنعها المفكرين من التطرق إلى الخطاب الديني و الميتافيزيقي ، في مقابل ذلك تركت بعض المجالات المسموحة في المجال الطبيعي، بشرط ألا تتعارض الاكتشافات العلمية مع مبادئ الكنيسة . [5] إن مسيرة علم الاجتماع خلال المرحلة التأسيسية الثانية هي نتاج لعصري النهضة و التنوير فقد تطورت البحوث و الدراسات في أوروبا خصوصاً بعد عصر النهضة الأوروبية الذي شهد حركة إحياء العلوم القديمة وقد عكف على البحوث و الدراسات الاجتماعية طوائف من المفكرين و العلماء الذين يمثلون المدارس الفلسفية التي ظهرت في عصور الانتقال العلمي ، وكانت تعاني من عقم وتخلف القرون الوسطى إلى تقدم وفاعلية وديناميكية العصر الحديث . [6]

ومن أهم المدارس الفكرية التي كان لها الفضل الأكبر لظهور علم الاجتماع في أوروبا: [7]

- مدرسة التعاقد الاجتماعي على يد "توماس هوبز" - "جون لوك" - "جون جاك روسو"
 - مدرسة فلسفة القانون - "مونتيسكيو"
 - مدرسة فلسفة التاريخ "هيجل" - مدرسة الفلسفة الاقتصادية "كيني" - "أدم سميث" - "جون ستيوارت ميل"
- وهذه المدارس الأربع تبقى من أهم العوامل الفكرية لظهور علم الاجتماع في العالم الغربي ، فظهر

علم الاجتماع بمفهومه الحديث في أوائل القرن 19 ،وقد كان "أوغيست كونت " سباقا إلى ذلك،وباليه في ذلك الفيلسوف الألماني"هربرت سبنسر"في منتصف القرن 19 ،وفي الولايات المتحدة بدأ علم الاجتماع كتخصص أكاديمي ليؤسس قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو عام 1892 ،ثم أسس علم اجتماع أوربي في جامعة بوردو عام 1895 ،وفي عام 1905 أسست الجمعية الاجتماعية الأمريكية الجمعية الأكبر في العالم من علماء الاجتماع المحترفين ،وفي عام 1919 أسس قسم علم الاجتماع بجامعة لودفيج الألمانية ،أما أقسام علم الاجتماع في بريطانيا فأسست بعد الحرب العالمية الثانية ،وكانت إيطاليا لها نصيب من أعمال "باريتو" .[8]

مكانة علم الاجتماع في الغرب : إن الأهمية التي أعطاها " كونت" لعلمه الجديد هي أهمية نابغة من مواضيع علم الاجتماع ،حيث أن لهذا العلم المكانة المميزة اجتماعيا و أكاديميا ،ف نجد أن الأوائل الناجحين هم من يحولون إلى أقسام علم الاجتماع ونجد أن للباحث الاجتماعي في الغرب دور كبير يمنحه الاحترام و التقدير الاجتماعي .

4-نشأة علم الاجتماع في العالم العربي :

أ-نشأة علم الاجتماع كتفكير اجتماعي: ظهرت في الحضارات الشرقية القديمة كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل طوائف من الحكماء والفلاسفة و المشرعين و المصلحين والمفكرين الذين عالجوا موضوعات الفلسفة و الفكر الاجتماعي معالجة لا تقل أهمية عن المعالجة اليونانية. [9] وفي الحضارة الإسلامية يعتبر الإسلام دين ونظام اجتماعي ،فوضع تشريعات دقيقة ومنظمة وحث على التفكير والاجتهاد وطلب العلم وانتشغل المفكرون الأوائل في عهد الخلفاء الراشدين بجمع القرآن وتفسيره ورواية الحديث وتجميعه وتبويبه بالمسائل الفقهية ،أما في العصر الأموي فزاد الاهتمام بالموضوعات الفقهية. وفي العصر العباسي كانت محاولات الفكر واسعة وذلك لاتساع حركة النقل ،وظهرت العديد من العلوم وكانت مكان تلقين المعارف وكان أغلب الطلاب يتوافدون إليها أجنب في وقت كان فيه العالم الغربي يعيش عصر الظلام و الجهل .[10] إن علم الاجتماع في الوطن العربي في مرحلته الحديثة قد استفاد من كل التراث عن طريق سفر رواده إلى كل من فرنسا وأمريكا و بريطانيا ثم في مراحل لاحقة إلى دول اشتراكية

، حيث تم حصولهم على الشهادات التخصصية في علم الاجتماع ،مع وجود مهنات أساسية في المجتمع العربي ساعدت على تطوره ،ووجود دراسات وكتابات في علم الاجتماع ، فظروف الوطن العربي التي نما فيها علم الاجتماع اتسمت قبل الحرب العالمية الثانية بهيمنة الظاهرة الاستعمارية ،في حين كانت انعكاسات الحرب العالمية الثانية كبيرة على الواقع العربي من تزايد الشعور القومي ،وتزايد الحركات التحررية العربية .كما شهدت نهاية الأربعينات حتى الثمانينات جملة من التطورات منها استقلال أقطار الوطن العربي وتزايد مشاريع التنمية.[11]

ب-نشأة علم الاجتماع كعلم أكاديمي : إن وضع الدراسات و البحوث الاجتماعية ووضع علماء الاجتماع العرب هو امتداد لوضع الجامعة في الوطن العربي ،وذلك في جميع التخصصات العلمية و الإنسانية ،" نتيجة لخضوع أجزاء كثيرة من الوطن العربي للاستعمار المباشر لفترة طويلة ، فقد صمم الاستعمار كثير من اطر التعليم والثقافة ،وفي بعض الأقطار هو الذي اوجد المؤسسات الأكاديمية والتربوية في شكلها النظامي الحديث ".[12]وتجدر الإشارة كذلك انقسام علم الاجتماع في الوطن العربي قد تباينت فترات نشأتها ودرجة استقلاليتها ،تحت تأثير ضغط العلوم الأخرى خاصة الفلسفة ،فقسم علم الاجتماع الذي انشأ في جامعة القاهرة سنة 1925 كقسم مستقل أعيد دمج مع الفلسفة حتى سنة 1956،أما معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا فكان هو الآخر فرعاً تابعاً للفلسفة .في حين أنشئ قسم علم الاجتماع في كلية الآداب في الجامعة السورية عند نهاية الأربعينات ،أما في العراق فقد أنشئ قسم علم الاجتماع كقسم مستقل مع بداية الخمسينات ضمن كلية الآداب جامعة بغداد.[13]

ج- مكانة علم الاجتماع في الوطن العربي: الواقع أن المؤسسات الرسمية في الوطن العربي ما تزال تتجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير الإيجابي في التحولات الجارية في المجتمع .أما من ناحية المجتمع فالكثير من أفراد المجتمع لا يعلمون ما هو هذا العلم، وينظر لبعض

الباحثين نظرة خوف فيعتقدون أنهم متأمرين مع السلطة وهذا يظهر في الاستثمارات والمقابلات التي يقوم بها الباحث ويظهر ذلك من خلال أجوبتهم بالتحفظ . وفي الجامعات يصنف علم الاجتماع آخر العلوم ترتيبا ،وهذا ما دفع الطلبة الحاصلين على شهادة البكالوريا النفور منه وجعله آخر فرصة لهم من بين الاختيارات الممنوحة لهم.إلا انه تجدر الإشارة إلى عدة كتابات رافقت نشأة علم الاجتماع ،لأنها غلبت عليها السمة النقلية التأليفية ،كما أن البعض الآخر وخاصة الأطروحات نجد أنها عالجت مواضيع لا تمس مشكلات الواقع العربية وطموحاته آنذاك .

5-واقع علم الاجتماع في المغرب العربي: إن نشأة علم الاجتماع في المغرب العربي كعلم أكاديمي

يعود إلى الاستعمار الفرنسي حيث جعل بلاد المغرب ميدان الدراسات الأنثروبولوجيا والاجتماعية فكان لخدمة الإيديولوجية الكولونيالية.وفي المغرب فقد أنشئ معهد السوسيولوجيا بمساعدة اليونسكو سنة 1960، وتم إغلاق المعهد سنة 1971 حيث ادمج تدريس علم الاجتماع في شعبة الفلسفة وعلم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس. [14] إن نظرة المجتمعات في المغرب العربي تشبه مثيلتها في الوطن العربي ، إذ يعتبرون علم الاجتماع من العلوم الكمالية كما نجد المشتغلين في العلوم الاجتماعية أغلبهم يقيدون هذا العلم في جانبه النظري فقط دون المجال التطبيقي وبالتالي الباحث الجامعي يفتقد إلى الخبرة الميدانية لغياب المخابر البحثية ولاحظ " جمال معتوق" أن بعض الباحثين الجزائريين لايملكون مكتبات خاصة على عكس التونسيين والمغربيين الذين هم أحسن حالا وان غلاء المعيشة تؤثر سلبا على الباحث في شراء الكتب وتوفير الأدوات اللازمة للبحث، مما يؤدي إلى غياب راحتهم النفسية.[15]

6-وضعية علم الاجتماع في الجزائر: إن الحديث عن وضعية علم الاجتماع نشير من خلالها إلى النشأة

فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر والتي يدرس فيها علم الاجتماع كتخصص أكاديمي. ومن أهم المراحل التي عرفت مسيرة علم الاجتماع في الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا:

- **الفترة الممتدة من 1958-1963**: تمثل مرحلة السيسولوجيا الاستعمارية الرسمية ،حيث تم تأسيس قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر سنة 1958 ،وقد كان التدريس خلال هذه الفترة موجها فقط لأبناء المعمرين الفرنسيين .ومن حيث البرامج فقد كانت تابعة للجامعات الفرنسية في فرنسا ،ومسطرة على مقاسها كما هو الشأن بالنسبة لكل البرامج في مختلف الفروع العلمية . [16]

- **الفترة الممتدة من 1963-1971**:إن الميزة الأساسية التي كانت تميز علم الاجتماع في هذه الفترة،أنه علم مازال يمارسه الفرنسيون أنفسهم وذلك لندرة المتخصصين في هذا المجال كما أن الدروس كانت تعطى باللغة الفرنسية والنظام التعليمي خلال هذه المرحلة كان من حيث البرامج و الغايات مرتبطا بالجامعة الفرنسية.[17]

-**الفترة الممتدة من 1971 - 1984**:خلال هذه الفترة كان تسيير أمور المجتمع تحت سيطرة الحزب الواحد و المركزية ،ما جعل المسؤولين يستعملون وظائفهم في تكريس ايديولوجية النظام .وفي هذا الصدد يقول جمالعتوق «كذلك نجد أن علم الاجتماع والمنشغلين به جندوا للدفاع عن الإيديولوجية الاشتراكية أي إيديولوجية الحزب الحاكم. وعليه نجد أن علم الاجتماع تحول من علم أكاديمي- علمي- إلى علم إيديولوجي،ونفس الشيء ينطبق على الطلبة حيث كان الخطاب الرسمي ينظر إليهم بمثابة حماة الإيديولوجية الاشتراكية وأبواقا لها ". [18] وفي هذه الفترة نال علم الاجتماع نوع من الاهتمام والعناية به من خلال الإصلاحات التي طرأت عليه وعلى التعليم العالي ،أما البرنامج الخاص بعلم الاجتماع والتخصص كانت موجودة وتعتبر عن السلطة الحاكمة ،فمثلا لتكريس الثورة الزراعية تم فتح تخصص ريفي وحضري وتخصص علم اجتماع صناعي لخدمة الثورة الصناعية . وأهم سميات هذه المرحلة:

* ظهور سوسيولوجية وطنية ناطقة باللغة العربية تأكدت مع قرارات عام 1971 ومرسوم 25 أوت 1973 التي استهدفت جزأة الجامعة وتعريب مناهجها وتغيير نظمها البيداغوجية .وهكذا جاء قانون التعريب للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة سنة 1980.ولتحقيق هذا الهدف اضطرت الدولة الجزائرية إلى طلب المساعدة من المشاركة للتدريس و السهر على تعريب الجزائريين .

*امتد تدريس علم الاجتماع بعض التخصصات كعلم النفس، القانون، الهندسة المعمارية، الجغرافيا، الصحافة، الطب...، كنوع من الإعداد للمهن ذات الطابع الاجتماعي . [19]

- **الفترة الممتدة من 1984 إلى يومنا هذا** :وفي هذه الفترة نال علم الاجتماع التهميش و التقزيم ،كما أفرغت البرامج من الشعارات و المفاهيم ذات الصبغة الاشتراكية ،و تم الاستغناء عن المنشغلين بعلم الاجتماع ، بحيث أصبح المسؤولون ينظرون لهذا العلم نظرة عدائية . [20] ولا يمكن إهمال أحداث أكتوبر 1988 التي ميزت الحياة الاجتماعية و السياسية و الثقافية للبلاد ،وكانت له انعكاسات على توجهات البلاد عامة والممارسة السوسيولوجية خاصة، وظهر التيار الإيديولوجيا الإسلامي ،وتجسدت هيمنته على مستوى البرامج في مقياسين مقياس المنهجية الذي أصبح تدرس في إطاره المنهجية الإسلامية كبديل عن المنهجية الغربية ومقياس علم الاجتماع الإسلامي، ثم عرف تراجع هذا التيار مع نهاية التسعينات بعد المصالحة الوطنية . [21] وتقبل الجزائر منذ 2004 على تبني الإصلاح الجديد و المتمثل في نظام ل.م.د.فهو سيسمح هذا الإصلاح بإدماج الجامعة الجزائرية ضمن المستوى التعليمي العالي وتدخل في مرتبة الجامعات العالمية ونتمكن من التنافس العلمي و التكنولوجي أم أن هذه التغييرات ستبقى شكلية ؟

7-مكانة علم الاجتماع في الجزائر

أ- وجهة نظر المشتغلين بعلم الاجتماع: تطرق «جمال معتوق» في كتابه علم الاجتماع في الجزائر

في فصله الخامس: قراءة نقدية لواقع علم الاجتماع بالجزائر حيث لاحظ :

-إنشاء عدة تخصصات جديدة في علم الاجتماع من باب المباهاة أو العناد دون النظر إلى من يقوم على هذا التخصص من أساتذة مختصين. وفي هذا المنوال يقول " لا يمكننا الكلام عن سيكيولوجيا فعالة قادرة على المساهمة في قراءة وفهم ما يجري داخل مجتمعنا إلا إذا أعدنا النظر في كيفية إحداث التخصصات السيكيولوجيا وإعطاء الأولوية لتلك التي نحن في حاجة إليها ، والممكن أن تساهم في عملية التنمية ، وكذلك السماح للمتخرج بالحصول على شغل بدلا من إنتاج البطالين" . [22] -كما أن مقاييس برنامج علم الاجتماع ليست مسايرة للواقع المعاش ، بحيث توجد مقاييس التكوين ليست لها صلة بالمناصب بعد التخرج وهو ما يؤكد سفير ناجي بقوله " لقد أثبتت تجربة العشر سنوات التي مضت أن هذه البرامج تجاوزها الزمن وتحتاج إلى مراجعة معمقة ، وهناك وحدات أخرى لا احد يرى لها أهمية سواء من بين الطلبة أم من بين المعلمين" . [23] -في علم الاجتماع يجد الطالب أن ما تحصل عليه من معارف لا يستطيع توظيفها في عمله ، ذلك لغياب مهنة علم الاجتماع أو المختص فيه . وفي هذا الشأن يقول محمد سعيد فرح «الحاجة الماسة إلى تعويد الطالب الدارس للعلم على التفكير النقدي لمشكلات المجتمع ، وعلى المشاركة في أكثر من مجال ليتاح له العمل أكثر من مهنة" . [24] كما يقول " كيف يستفيد دارس علم الاجتماع من شهادته الجامعية عند حصوله على وظيفة في إدارات التنمية أو مركز الشرطة أو في مجالات الإعلام...؟ فهناك فرص كثيرة لتحقيق استفادة الطالب من هذا العلم في مجالات العمل" . [25] -وبخصوص الطلبة الموجهين لعلم الاجتماع ، فلا توجد شروط للالتحاق به ، ولو تركت لهم حرية الاختيار لتناقص عددهم بشكل كبير بحكم الصورة التي يحملونها عنه ، وفي هذا الصدد يقول جمال معتوق "أغلبية الطلبة الوافدين على هذا التخصص ليسوا من الطلبة المتفوقين أو ذوي المستوى

العالي ولا حتى المقبول ،بل الضعفاء و الذين وجدوا جميع أبواب التخصصات مغلقة في وجوههم، فالحل الوحيد الذي بقي أمامهم هو علم الاجتماع". [26]

وفيما يخص برامج علم الاجتماع: فقد أشار إلى النقاط التالية:[27]

* يطغى عليها البعد النظري أكثر منه التطبيقي .

* أغلب محتويات هذه البرامج لا تعطي للطالب آخر ما توصل إليه علم الاجتماع العالمي. *

تعمل هذه البرامج على تغريب الطالب فلا وجود لإسهامات العرب و المسلمين في تطور الفكر الاجتماعي ،كما لا تتناول تحليل المجتمع الجزائري من الجوانب الثقافية و التربوية.

*فيما يخص أساليب وطرق التدريس فهي تعمل على التلقين والحفظ ويتجلى ذلك في طرق تقييم

الطالب في الامتحانات ويلزم الطالب بإعادة كتابة ما درسه على ورقة الإجابة .

- فيما يخص نوعية المراجع في المكتبات الجامعية فان مكتباتنا تفقر إلى مراجع أو كتب من إنتاج سوسيولوجي جزائري و هذا بالرغم من وجود أعمال لا يستهان بها من حيث الجودة وتوفر المواصفات العلمية المطلوبة .

-هناك بعض المقاييس الهامة والأساسية تعطى للتدريس لبعض الأساتذة بعيدة عن متطلبات التخصص. وأصبح بعض الأساتذة يدرسون مقاييس لعدة سنوات دون إضافة وتحسين وتطوير في محتواها العلمي.- وفيما يخص مشكلة إعداد المذكرات و الرسائل الجامعية يتمثل في نوعية المواضيع المتناولة للدراسة ، فالبعض منها متكرر ،قديم في ثوب جديد ويتحمل الأستاذ المشرف مسؤولية في انتشار هذه المواضيع التي لا تساهم في الواقع الاجتماعي الجزائري ،وأصبحت وسيلة للحصول على الشهادات.

وتعرض "عمروني بهجة" إشكالية الهوية عند فئة خريجي علم الاجتماع الأكاديمي ،حيث ينشأ هذا المشكل من غياب منصب علم الاجتماع في التصنيفات المهنية للوظائف العمومي وفي المؤسسات الاقتصادية ،نتيجة غياب ثقافة علم الاجتماع في المجتمع الجزائري ،وبجهد مكانة علم الاجتماع في المجتمع يحرم السوسيولوجيين المهنيين من توظيف معارفهم السوسيولوجية وإبراز كفاءاتهم وقدراتهم .

يخلق هذا الغياب مشاكل لفئة خريجي علم الاجتماع ،مما يجبرهم على قبول مناصب عمل ليست لها أية صلة بالشهادة الجامعية التي يحملونها ،كما أن المهام المهنية التي توكل لهم هي مهام بسيطة لا تتطلب التطبيق السوسيولوجي ، وبالتالي تعاني هذه الفئة من عدم تمتعهم بهويتهم السوسيولوجية المهنية ،نتيجة غياب الاعتراف الاجتماعي بهم كسوسيولوجيين سواء كان ذلك من قبل المسؤولين أم من قبل زملائهم،مما يجعلهم يعيشون أزمة هوياته وهي نتيجة ازدواجية بينيها طالب علم الاجتماع خلال تكوينه وما بين الواقع المهني الذي يعيشه،بينما نجد تخصصات أخرى يعترف الجميع بمهنتهم كمهنة المختص في علم النفس و الحقوق و الاقتصادي وغيرها.[28]

ويتناول **الفضيل رتيمي** من خلال تشخيصه وتحليله لواقع علم الاجتماع في الجزائر من كشف بعض السلبيات التي تعيق تطور علم الاجتماع ومنها :[29]

- كيفية التدريس: بالرغم من المدة المعتبرة من عملية التعريب إلا أن البعض مازال يدرس بالدارجة وذلك على حساب اللغة العربية الفصحى ،بينما نجد البعض الآخر يستعمل خليطا ومزيجا من العربية والفرنسية أوالدارجة التي يتحدث بها في الشارع أو في أسرته،ما ينعكس سلبا على التحصيل وتكوين الطلبة،ويتطلب الأمر إعادة النظر في مكانة اللغة في الجامعة الجزائرية ولا يتأتى ذلك إلا بالرسكلة وتكوين الأساتذة في هذا الشأن.

-إن الأساتذة في كثير من الأحيان يمتنون طريقة الإملاء و الإلقاء دون مناقشة وحوار مع الطلبة .
- ما زالت طريقة السبورة هي المستعملة ، ويلاحظ غياب الوسائل التعليمية ،وبرمجة الخرجات الميدانية.
- أما على مستوى الأعمال الموجهة فيبقى الأستاذ هو مصدر المعرفة التي يغيب فيها الطالب إلا بعرض البحوث على شكل قراءة ما تحتويه دون حوار ومناقشة وتحليل.

- نادرا ما يتقدم الأستاذ بتزويد الطلبة بمطبوعة محاضرات لمقياس درسه أكثر من ثلاث سنوات. وفي الأخير يتساؤل أين تكمن أفاق علم الاجتماع في ظل هذه التناقضات التي يحملها كل من المسؤولين و المشتغلين بهذا العلم من جهة ، و الطلبة من جهة ثانية؟ وتستعرض "كريمة فلاحي"[30] لأهم المعوقات التي تعترض علم الاجتماع في الجزائر و التي تعوق أداء وظائفه الأساسية في العملية التنموية ومنها :إشكالية تبني النظريات الغربية في دراسة المجتمعات العربية و الإسلامية ،إشكالية المنهج و التي تخص الطريقة التي تتم بها معالجة البحوث السوسيولوجية،بحيث تتناول جل البحوث بصورة وصفية دون تغلغل في عمق الظاهرة من الناحية التفسيرية والتأويلية،وهو الأمر الذي جعل من حقل السوسيولوجيايمتلى بالظواهر المكررة المعتادة .

إشكالية اللغة و اللغة السوسيولوجية،إشكالية المكونين والمتكونين،تسييس العلم.

وتوصلت "جميلة شلغوم " من خلال دراستها الميدانية إلى النتائج التالية :[31]

- إن المشتغلون بالحقل السوسيولوجي في الجزائر مجرد موظفين ومدرسين جامعيين ،فالعلاقة اقتصادية أساسها تقديم خدمات مقابل أجر وليست علاقة أساسها الولاء وحب المعرفة.

- الانشغال الدائم بالقيام بالمهام الأكاديمية الموكلة إليهم من تدريس إشرافوتأطير تحضير الامتحانات، والتي تأخذ منهم وقتا كبيرا ولا تساعدهم على المشاركة في التظاهرات الدولية التي تعمل على تطوير وتحسين المعارف والخبرات ، وعدم وجود علاقة بين المنهاج التعليمي و الواقع الاجتماعي . - إن

الخدمة المقدمة من قبل المشتغلون بعلم الاجتماع لا تتعدى عمليات نسخ ونقل المعارف دون مراعاة لمتطلبات الحداثة، دون تجديدها أو الإضافة فيها ، وتقتصر الممارسة السوسيولوجية على النظرية وتلقى كما هي تطبيقا لما جاء في البرامج ، وتغيب المجتمع الجزائري لمجتمع قابل للدراسة السوسيولوجية. -إن علم الاجتماع يصنف أكاديميا واجتماعيا في أسفل قائمة العلوم في الجزائر بسبب ضعف الإنتاج السوسيولوجي لأغلب المشتغلين به، وغياب الدور الفعلي و الجاد بسبب تقصيرهم وعدم تمكنهم من فهم دورهم الاجتماعي ، وعدوانية المجتمع وانغلاقه أمام علم الاجتماع بسبب جهله لمقومات وإمكانيات هذا العلم الناجمة عن النظرة الدونية لهذا العلم ومشتغليه.

ب - نظرة الطلبة لعلم الاجتماع : إن نظرة الطلبة إلى علم الاجتماع على أنه نوع من الفلسفة ولا تتطابق برامجه التكوينية الدراسية مع الواقع الجزائري، ورغم إتمام هذا التخصص بالدراسة الميدانية كغيره من العلوم التكنولوجية ، إلا أن اغلب الطلبة يرون لا فائدة من تكوين جامعي لا مجال فيه للعمل بعد التخرج.

ج - نظرة المجتمع لعلم الاجتماع: إن علم الاجتماع يتعرض للانتقاد من أغلبية أفراد المجتمع حتى ذوي المستوى العلمي منهم، إن سمعته تتميز بالدونية نتج عن عدم ظهوره بقوة في المؤسسات الاقتصادية والخدماتية وأنه علم قليل الصلة بالمجتمع ولا يصلح المتخصص فيه من السير الحسن للإدارة والمؤسسة. ويؤثر المجتمع على الطلبة الحائزين على شهادة البكالوريا بالتسجيل في اختيار التخصص الذي له أولوية في التوظيف والبحث عن التخصص المطلوب في سوق العمل ،وقد يحجم الطالب عن تخصص علم الاجتماع خوفا من نقد المجتمع له لسوء اختياره ،وبالتالي يختار تخصصا مقبولا عند المجتمع وإن لم يكن له رغبة فيه.

د - علم الاجتماع و البحث العلمي: إن أستاذ علم الاجتماع اليوم لم يعد قادرا على الإبداع و

التأليف بعدما كان ينصب عمله بتهيئة الأجيال وتكوينهم أصبح نموذجا للتكاسل ومرآة لطلبته، كما نجد من الأساتذة الذين لا تهمهم خدمة هذا العلم بقدر ما تهمهم مصالحهم . إن المختصين في علم الاجتماع يجمعون بأن البحث العلمي في العلوم الاجتماعية يكاد يكون منعدما ،ويظهر ذلك من خلال النتائج الميدانية وإن وجدت يكون الغرض منها الحصول على شهادات أعلى وبالتالي الترقية المهنية وليس الهدف منه ترقية المجتمع.

هـ - علم الاجتماع وسياسة التشغيل : يجهل الكثير من طلبة علم الاجتماع مهنتهم المستقبلية

بعد إنهاء مسيرتهم الدراسية بالجامعة ،وحتى لو توفرت مناصب الشغل لهؤلاء فإنهم يصطدمون بعائق عدم تطابق ما تعلموه ومحيط العمل.كما أن عدد المتخرجين من الجامعات في تزايد مستمر ومن بينهم طلبة علم الاجتماع التي تنعدم فيها مناصب الشغل في سوق العمل وإن الجامعة الجزائرية تسعى إلى استقطاب اكبر عدد ممكن من الطلبة، والأجدر أن تسعى إلى التوفيق بين هذا العدد الهائل وسوق العمل. كما أن خريجو علم الاجتماع يعانون من تهميش في سوق العمل بسبب عدم وضوح المهام المهنية التي توكل لهم وعدم تعرف المستخدمين على مكانة ودور هذا التخصص ، فهل نظام ل. م. د يحقق مبدأ التنمية المحلية في برامجهم ؟

الخاتمة:

نظرا لما لعلم الاجتماع من أدوار ووظائف هامة في المجتمع ،أصبح العناية به واجبة وضرورية تبعا إلى ما قدمه من دفع عجلة التنمية و التقدم في الدول المتقدمة .والجزائر عملت على تدريس هذا التخصص بجامعاتها كفرع مستقل ،إلأن وظيفته الأساسية تبقى غائبة ،وتعمل على تكوين طلبة غير قادرين على التفكير في القضايا و المشكلات الاجتماعية التي يواجهونها أو تلك التي يواجهها المجتمع ككل . ومن خلال استعراض مكانة ووضعية علم الاجتماع في الجزائر هناك عدة معوقات تحول وتعرقل مساره وهذه المعوقات جعلت من علم الاجتماع يعاني ،بل أصبحنا نشاهد الشارع الجزائري ينظر إليه بدونية بل البعض يرى أن لا أهمية لعلم الاجتماع لأن لا فائدة ترجى منه. ويتطلب الأمر إعادة الاعتبار لهذا العلم واثبات وجوده على الساحة الأكاديمية ،ويتطلب ذلك التضحيات الجسام من طرف المشتغلين بهذا العلم والطلبة وتوعية المجتمع عامة بضرورة وفائدة هذا العلم ،كما يتطلب من الوزارة الوصية بتوفير الإمكانيات اللازمة للنهوض بعلم الاجتماع وتطويره وتحسين نوعيته حتى يكون بالإمكان أن يتخرج طلبتنا قادرين على العمل في أي مجال من مجالاته.

قائمة المراجع :

- 1- ابن خلدون ،مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، دار الفكر ، ط1،2003،ص 48
- 2- نفس المرجع ،ص49
- 3- نفس المرجع ،ص 51
- 4- محمد أحمد بيومي ،تاريخ التفكير الاجتماعي ،الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية ،1995،ص81

- 4-5- حنطابلي يوسف ، علم الاجتماع في الوطن العربي بين الفكر المرفوض والواقع الفروض
،ماجستير في علم الاجتماع الثقافي،جامعة الجزائر ،2000، ص 76
- 6 -إحسان محمد إحسان ،عدنان ليتمان الأحمد ،المدخل إلى علم الاجتماع ،عمان ،ط1،دار
وائل للنشر والتوزيع،2005، ص 107
- 7- نفس المرجع ،ص 112
- 8 - هشام يعقوب مريزيق ، المدخل إلى علم الاجتماع ،الأردن ط 1، دار الراية للنشر
والتوزيع ، 2008ص 20
- 9 - إحسان محمد إحسان ،عدنان ليتمان الأحمد،مرجع سابق ،ص 90
- 10 - نفس المرجع ،ص 101
- 11- هادي صالح العيساوي ،أفاق علم الاجتماع ،عمان ، دار أسامة للنشر و
التوزيع،2008،ص ص 31 - 32
- 12- حيدر إبراهيم علي ،علم الاجتماع و الصراع الإيديولوجي في الوطن العربي ،مجلة
المستقبل العربي ،العدد 78،1985،ص 14
- 13- هادي صالح العيساوي ،مرجع سابق،ص 35
- 14 - نفس المرجع ،ص 35
- 15- جمال معتوق ،واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي - دراسة ميدانية بالجزائر، تونس
و المغرب أطروحة لنل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع الثقافي جامعة الجزائر،1998-1999.
- 16- مريوحة نواره ،تدريس علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية دراسة المشكلات والطرائق
والحلول، أطروحة دكتوراه دولة ،قسم علم الاجتماع ،جامعة عنابة ،1998-1999،ص 135
- 17-جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ،الجزائر ،ط1،2006، ص
74-79
- 18- نفس المرجع ،ص 90
- 19- محمد حافظ دياب،علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال ، بيروت،مجلة المستقبل العربي،
العدد 134، 1990 ص 9820

- 20- جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق ص 96
- 21 - جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق ص 34
- 22 - سفير ناجي ، محاولات في التحليل الاجتماعي ترجمة م عين ناصر طبعة مشتركة بين ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989، ص 33
- 23- محمد سعيد فرح ،ما علم الاجتماع ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، دون سنة ، ص 12
- 24- نفس المرجع ، ص 16
- 25 - جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا مرجع سابق ، ص. 27.
- 26 عمروني بهجة ، آفاق علم الاجتماع في الجزائر : أزمة هوية عند السوسيولوجيين المهنيين ، دكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع التربوي ، جامعة الجزائر ، 2013-2014. ص 10
- 27 – dspace.univ-biskra.dz
- 28- الفضيل رتيمي ، واقع وأفاق علم الاجتماع في الجزائر، ديسمبر 2015. 30
- 29- كريمة فلاح، المعوقات الوظيفية لدور علم الاجتماع في الجزائر، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة فرحات عباس سطيف ، العدد الخامس، 2007 ، ص 271-284
- 30- جميلة شلغوم ، واقع السوسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة وما بعد الحداثة ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع تنظيم وديناميكيات اجتماعية و المجتمع ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2012-2013، ص ص 177-187